

التنشئة الاجتماعية وآليات تشكيل العنف عند المراهق

أ. جوفلكيت ليلي

جامعة البليدة 2

ملخص

تمثل الأسرة الوسط للتجارب الأولى في الحياة الوجدانية، التواصلية وتبادل العلاقات الاجتماعية للفرد، ويتحكم المناخ الأسري بصفة واسعة في إقامة توازن الفرد ونموه الانفعالي، ويشكل نموه المعرفي من خلال أنماط السلوك التي يقترحها؛ والتصرفات العنيفة توجد أكثر عند الأطفال الذين لا تستطيع أسرهم ضمان نماذج فعالة للاتصال وتربية أبنائها تربية قائمة على العلاقات الوجدانية، والقواعد العادلة تجاه كل أفراد الأسرة؛ والتحليل الاجتماعي لظاهرة العنف في المدرسة يقتضي معرفة آليات تشكيله في البيئة الأسرية التي نشأ فيها الطفل.

Résumé :

La famille représente le lieu des premières expériences affectives relationnelles, et sociales de l'individu, et le climat familiale conditionne largement sa stabilité et son développement émotionnel, il façonne son développement cognitif par les modèles de conduite qu'il propose.

Les comportements de violences sont souvent favorisés chez les enfants dont les parents n'arrivent pas à assurer des modèles efficaces de communication et une éducation basée sur des relations affectives et des règles équitables pour tous les membres de la famille.

1- مقدمة

إن غرس السلوكات النبيلة في نفوس أبنائنا من أهم الواجبات التي يجب إعطائها الأولوية في المنظومة التربوية والسعي إلى تحقيقها لبناء شخصيات سوية وتحصينها من السلوكات العنيفة والواقع الاجتماعي بما فيه الواقع الجزائري اليوم. وفي ضوء معطيات العصر الجديد في جميع المجالات منها الاجتماعي والإعلامي يلح علينا إلى ضرورة لفت الانتباه إلى أبنائنا في المؤسسات التربوية وبالأخص في المدرسة، خاصة وأن الدراسات الحالية أوضحت أن هناك مشكلات ترتبط بالعنف، خاصة تلك الانحرافات السلوكية بين الطلاب والمجتمع المدرسي. نريد من خلال هذه الدراسة تسليط الضوء على العنف في المؤسسة الاجتماعية التربوية. سنحاول تعريف العنف وآليات تشكيله داخل المدرسة،

والخروج بتوصيات واقتراحات للحد من هذه الظاهرة داخل المدرسة أو على الأقل التقليل منها.

2- الإشكالية

أصبح الاهتمام بدراسات العنف من الأمور الضرورية في حياة المجتمعات وذلك لما له من آثار وخيمة على حياة الأفراد ومختلف المؤسسات الاجتماعية، كالأسرة، المدرسة وغيرها.

فالعنف ظاهرة اجتماعية بارزة في المجتمعات لم ينجو منها المجتمع الجزائري الذي تعرض لكل أشكال العنف منها الأسري، المهني، الديني وحتى الجسدي والجنسي. ومن بين هذه الأنواع برز نوع آخر لا يقل خطورة، خاصة إذا تعلق الأمر بفئة اجتماعية حساسة جدا يعتمد عليها في بناء مستقبل المجتمعات (وهي فئة الأطفال) وبمؤسسة هامة معروف عنها في مختلف الدول والأزمنة أنها لا بد أن تعمل من أجل تحقيق هدفا أساسيا، هو تنشئة الأجيال تنشئة اجتماعية ووطنية سليمة وإعدادهم لمواجهة المستقبل (المدرسة)، هذا النوع هو العنف المدرسي، ويعتبر العنف المدرسي من المظاهر الحديثة في المدارس الجزائرية متعدد المظاهر التي ترتبط بعدة عوامل أهمها العامل التربوي، ولما كانت العملية التربوية عملية تفاعل متبادل بين الأسرة والمدرسة، كان الداعي إلى التركيز على هاذين الواسطين الاجتماعيين المهمين في توجيه سلوكات الأطفال، والعمل على تحسين مستواهم الدراسي.

فالأسرة هي الواسط الاجتماعي الأول الذي يساهم في بناء شخصية الطفل وتعليمه أنماط الحياة، وهي الإطار المؤسسي الأول الذي يتلقى فيه الطفل دروس الحياة الاجتماعية من خلال عملية التنشئة، لتأتي بعد ذلك المدرسة لإكمال هذه المهمة باعتبارها المؤسسة الاجتماعية الثانية التي تنمي سلوكات الأطفال (التلاميذ) وتكسيهم سلوكات ومعايير اجتماعية من خلال عملية التفاعل الاجتماعي، المتمثلة في العلاقات المختلفة بين أفراد المؤسسة التربوية من تلاميذ وأساتذة وغيرهم. وكذا من خلال احترام قوانين المؤسسة.

ما يدفعنا للتساؤل هو كيف يتشكل العنف داخل المدرسة، وما هي آليات تشكيله هل ترجع لأسباب أسرية أم مدرسية؟ وما هو السبيل لمعالجة مثل هذه الأسباب ومحاولة الحد من خطورتها؟

3- أهمية الدراسة

ما يهمنا هنا هو تطوير العملية التعليمية في الجزائر، وكذا التحسين مستوى تلاميذنا بإتاحة الفرص الممكنة للقضاء على العنف.

4- الهدف من الدراسة

التعرف على آليات تشكيل العنف داخل المدرسة لدى التلاميذ المراهقين، لمعرفة طبيعتها والخروج بنتائج تفيد في علاجها.

5- فرضيات الدراسة

انطلقت الدراسة من فرضية عامة وهي العنف المدرسي يرجع لأسباب تربوية وأسرية.

6- الدراسة الاستطلاعية

وفي الدراسة الاستطلاعية لموضوعنا عالجت الدراسة ما يلي:

- 1- هل سبق لك الدخول في مشادات مع الوالدين أو مع الآخرين؟
- 2- هل تتعرض لعقوبات في البيت؟
- 3- ما هو موقف والدك عندما تتعرض لمشاكل مع المعلمين أو مع الآخرين؟
- 4- كيف تتعامل معك الأسرة؟
- 5- كيف تتصرف مع المعلمين، وما هي نظرتك لهم؟
- 6- ما هي الأسباب المسؤولة عن ظاهرة العنف المدرسي؟ وكيف يتشكل هذا العنف؟

7- تحديد المفاهيم العامة

* التعريف اللغوي للعنف

يعرف العنف لغة « الخرق بالأمر وقلة الرفق به وهو ضد الرفق واعنف الشيء: أخذ به بشدة والتعنيف هو التفريق واللوم» (ابن منظور، 1975، ص257)، وهو تلك الكلمة اللاتينية التي «تدل على الوحشية والقوة ويدل فعل *violence* على القدرة واستخدام القوة الجسدية» (Michaud Yves, Paris, 1973). كما انه تلك الصفة العنيفة تستعمل كما يعرف انه "مضاد للرفق ومرادف للشدّة والقسوة والعنيف هو *violence* المتصف بالعنف، فكل فعل شديد يخلق طبيعة الشيء ويكون مفروضا عليه من الخارج فهو بمعنى ما فعل عنيف» (جميل صليبا، 1982، ص112)، فالعنف «يعتبر وسيلة للتعبير عما بداخل الفرد وتكون مرفوضة باستعمال القوة سواء كانت هذه القوة موجهة نحو الأفراد أو الأشياء، وقد صنف العنف كمرض اجتماعي شأنه شأن الأمراض الجسمية ينتقل من المريض إلى السليم» (عبد الرحمن العيسوي، 1999، ص432).

ويتضح من التعريفات السابقة أن مفهوم العنف يشمل ذلك السلوك الفعلي للقوة، بإلحاق الضرر بالذات أو بالأشخاص الآخرين أو حتى بالممتلكات، وهكذا «تشير كلمة "عنف" في

اللغة العربية إلى كل سلوك يتضمن معاني الشدة والقسوة والتوبيخ واللوم والتفريغ، وعلى هذا الأساس فإن العنف قد يكون سلوكاً فعلياً أو قولياً» (حسين توفيق إبراهيم، 1993، ص41).

ويتضح من خلال التعريف أن العنف قد يأخذ عدة أشكال، فيكون إما فعلاً أو قولاً، وهناك من يعرفه على أنه استخدام غير مشروع للقوة المادية بأساليب متعددة، وكذلك في اللغة الانكليزية إذ يعني «إلحاق الأذى بالأشخاص والإضرار بالممتلكات، ويتضمن ذلك معاني العقاب والاعتصاب والتدخل في حريات الآخرين» (حسين توفيق إبراهيم، 1993، ص41).

وفي معجم العلوم الاجتماعية «هو استخدام الضغط أو القوة استخداماً غير مشروع أو غير مطابق للقانون من شأنه التأثير على إرادة فرد ما» (احمد زكي بدوي، 1986، ص 44).

وفي مجمل هذه التعريفات يتضح لنا أن مفهوم العنف يتخذ عدة اتجاهات فهو إما أن يواجه ضد فرد نفسه أو ضد الآخرين أو ضد الممتلكات، وفي مجملها تدل على أنه سلوك غير مشروع أي أنه سلوك غير مقبول اجتماعياً، لأن من شأنه أن يلحق الأذى والضرر بالفاعل وبالآخرين أي المستهدفين.

وهو ما تؤكد لنا تعاريف العنف اصطلاحاً، فهي إذن في مجملها تركز على استخدام القوة بكافة أشكالها وبشكل غير مشروع.

*العنف اصطلاحاً: (التعريف الاصطلاحي)

يعرف العنف اصطلاحاً على أنه "كل ضغط لا يحتمل، يمارس ضد الحرية الشخصية ويحمل أشكال التعبير عنها بهدف إخضاع طرف لصالح طرف آخر في إطار علاقة قوة غير متكافئة سياسياً أو اقتصادياً أو اجتماعياً أو غيره، أكان هذا الاختلاف قائماً على الجنس أو المنشأ أو العرق أو السن أو ما عدا ذلك، أنه مساس بالشخصية الإنسانية، وبالتالي عائق لنموها وإنعقادها ولأنسة الوجود البشري» (سوسن شاكر مجيد، 2008، ص 37).

فالعنف إذن يأخذ العديد من المظاهر في الواقع، الشيء الذي يجعل التعاريف حوله متعددة فكل تعريف يركز على مظهر معين ويعرفه بخلفية نظرية ما.

هذا لأن موضوع العنف ذاته يشير إلى مدى واسع من السلوك يجعله مجال اهتمام اتجاهات نظرية مختلفة.

ولهذا يرى كل من (Aber و Zigler 1981) ثلاثة أنماط من التعاريف :

1. التعريفات الشرعية ذات الطابع القانوني، لأجل تحديد الحقوق المتعلقة بالحضانة.
2. التعاريف الاجتماعية لأجل مساعدة المعنيين لاتخاذ قرارات Pdequates في تدخلاتهم في مجال الحماية الاجتماعية.

3. التعاريف التي يستعملها الباحثون لأجل تحديد أسباب وأثار مختلف أنماط العنف (Pierre

.(Anare Boudin, Mihians ER Kohen, Belgique, 2000).

ويمكن تعريف « العنف من فرد لأخر بمحاولة تسلط متزايدة يفرض خلالها احدهم (ومن موقع إحساسه بقوته) مراقبة وضغط الأخر ومستخدم وسائل ضغط متنوعة تحافظ على حالة دونية وتجبره على تبني مواقف وسلوكات مطابقة أو تتطابق مع توجهاته الخاصة ورغباته» (رجاء مكي، سامي عجم، 2008، ص38)، وهذا حسب S.Thibault وآخرون في تقرير 2002-2003 الكيبك (çuebec).

ويرى Dardel Joouadi أن العنف « يرجع خاصة إلى عنف المؤسسات كالمدرسة والأسرة ولكن بطريقة خاصة أكثر إلى العنف الجسدي احد التعريفات الأكثر كمالا للعنف والعنف في المدرسة هو حالة عنف مؤسساتية ترتبط بالواقع الاجتماعي ككل تخرج عن حالة العنف الجسدي والمراد بالعنف في هذه الحالة: استعمال نفوذ أو قوة فيزيقية وسيكولوجية وأخلاقية أو اجتماعية بطريقة معلنة أو مستترة، تلقائية أو مقصودة، مبررة أو لا من طرف فرد، جماعة، أو مجموعة، عن طريق سلوكياتهم أو بنياتهم ، والتي من آثارها معارضة أو تحطيم، جزئيا أو كليا، بوسائل فيزيقية، سيكولوجية، أخلاقية، أو اجتماعية، شيء ما (ممتلكات مادية، أشخاص، رموز) من أجل ضمان الإجابة على حاجة شرعية أو التجاوب مع هذه الحاجة الغير محققة» (Pierre Anare Boudin, Mihians ER Kohen , Belgique , 2000).

من خلال هذا يمكننا الكشف على أن العنف داخل المدرسة نابع عن انفعالات نمطها عنفوي، إما أن يكون الفاعل فيها فرد أو جماعة أو منظمة ما وسببها عدم إشباع حاجة معينة، أو للدفاع عن حاجة ما.

ولهذا يرى ميشو انه «يوجد عنف ما في وضعية تفاعل، يتصرف فاعل أو عدة فاعلين بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، مركزة أو موزعة تمس بالآخرين بدرجات متفاوتة سواء في شرفهم الجسدي أو المعنوي أو في ممتلكاتهم، أو في مشاركتهم الرمزية أو الثقافية» (Michaoud yves: paris, 1992).

وقد يتعدى إلى أكثر من ذلك حسب Fitzhugh Dods إذ يعرفه على «انه شعور بالغضب أو العدوانية يتجسد بأفعال دامية جسديا، أو بأعمال تهدف إلى تدمير الآخر وقد دعا إلى التمييز بين أعمال ومشاعر العنف والى عدم الخلط بين الغضب المرتبط بمثير وبين طبيعة الفرد العدوانية» (Dodson Fitzhough, PARIS, 1972).

ومن خلال هذه التعاريف الخاصة بمصطلح العنف نستنتج أن مفهوم العنف يختلف نسبيا من ثقافة إلى أخرى بالإضافة إلى انه متعدد الأوجه فيرى "جون لوكا" أن العنف له ألف وجه وان أشكال العنف مثل الأعداد تبدوا لا متناهية فهي دائمة جديدة ومتجددة (السيد عوض، 2004، ص12.)، إذ تتراوح بين الألم الجسدي أو الإصابة أو حتى جرائم القتل والاعتداء والاعتصاب وحتى السرقة أحيانا وتخريب ممتلكات الآخرين، فهي صورة من التفاعل الإنساني والانفعال الذي يصيب الجسد أو النفس أو كليهما وهو بذلك «سلوك ظاهر يحدث تدمير بالأشخاص أو الممتلكات، والعنف هو نهاية المطاف لسلوك عدواني، والعنف يكون فجائيا، وغير مخطط له كما يخضع لصيغة العقلنة أو التفكير العقلاني، والعنف هو الفعل المباشر للهجوم بقصد الضرر كما لا يمكن التنبؤ بمجره أو بدايته، ويتميز العنف بصيغة انفعالية شديدة قد تنطوي على انخفاض في مستوى البصيرة...» (السيد عوض، 2004، ص13).

وهو بالمعنى الواسع حسب **جراهام Grahaml** و**روبرت جور Gurr** « سلوك يهدف إلى خلق إهانات للأشخاص أو الخسائر في الممتلكات جماعيا أو فرديا، ويمكننا اعتبار أفعال عنف معينة جيدة أو سيئة أو لا هذا ولا ذاك حسب مبدأ ضد من» (Michaud, 1992, P8).

وعلى العموم فان مصطلح العنف يحمل في طياته معاني عديدة حسب استعماله، فهو إما عنف شرعي تختلف شرعيته حسب المجتمع المتواجد فيه أو غير شرعي أي ممنوع قانونيا أو سياسيا وغير مقبول اجتماعيا ومع اتفاق بعض التعاريف على انه موجه بقصد الضرر، فقد يكون في نظر البعض مثل **جراهام وجور** المحرك الأساسي في المجتمع ووسيلة للحفاظ على توازنه البنائي الوظيفي، إذ يرى انه يمكننا اعتبار أعمال عنف معينة جيدة وهي فكرة محورية في صراع الطبقات لدى **ماركس** الذي يرى أن الصراع هو محرك التاريخ ومحفز التغيير.

* العنف المدرسي

يمكن أن يحدث العنف المدرسي في إطار مؤسساتي وحينما يكون في داخل المدرسة يسمى عنفا مدرسيا، وحينما يكون بين التلاميذ تعرفه **فاطمة فوزي** بأنه « تعدي التلميذ أو عدد من التلاميذ على غيره من التلاميذ أو على احد العاملين بالمدرسة بالقول أو الفعل أو تخريب أو سلب ممتلكاتهم الشخصية... على أن يتم ذلك في الفصل أو خارجه أو في نطاق المدرسة... » (أميمة منير عبد الحميد جادو، 2005، ص6).

وتشير أيضا إلى مفهوم المخالفات المدرسية، أي كل ما يصدر من التلاميذ ويكون مخالفا لقانون المدرسة.

والمقصود بالعنف المدرسي حسب "عدنان كفي" « ما يجري في بعضها من ممارسات سلوكية يكون أبطالها الطلاب والطالبات والمعلمون والمعلمات، شرارتها الغضب ووقودها تزايد الانفعال ونتيجتها استخدام اللطم والركل والضرب باللكمات والآلات الحادة والعصي وأحيانا بالسلاح... » (أميمة منير عبد الحميد جادو، 2005، ص6).

ولم يقتصر عدنان كفي على العنف بين التلاميذ، وإنما تعدى ذلك ليشمل المعلمين أيضا أي كل الأطراف التي تتكون منها المدرسة تستطيع أن تخلق عنفا مدرسيا، المهم انه في إطار مدرسي وقد يكون العنف المدرسي حسبه إما لفظيا أو جسديا أي إما بالشتم أو الركل أو الضرب باللكمات والآلات.

كما نجد أن مفهوم العنف المدرسي قد يرتبط بمفاهيم مختلفة أهمها للانضباط، أو عدم الانضباط ولذلك لا بد من الوقوف أمام هذا المفهوم الوثيق الصلة بالعنف المدرسي.

8- التنشئة الاجتماعية وآليات تشكيل العنف عند المراهق

يشكل السلوك العنيف ظاهرة سلوكية واسعة الانتشار في أوساط تلاميذ المرحلة المتوسطة والذي يأخذ أشكال متعددة لها تأثير قوي ومباشر على شخصية المراهق وعلى مردوده الدراسي وحتى على المحيطين به في المدرسة. ولمعرفة هذه الأشكال المتعددة للعنف لا بد من الوقوف على آليات تشكيله وهنا لا نستطيع أن نذكر جميعا ما لوسائط التنشئة مجتمعة من مسؤولية في اكتساب السلوك العنيف بدءا بالأسرة.

- أثر المعاملة الوالدية على سلوك المراهق

لقد افترض العديد من الباحثين أن التنشئة الاجتماعية في الأسرة عامة وأساليب المعاملة الوالدية خاصة تقوم بدور فعال في التأثير على السلوك العنيف للأبناء في مراحل عمرهم اللاحقة عندما يدخلون في مرحلة المراهقة وما بعدها، بل أنه يمكن التنبؤ بالسلوك العنيف للأبناء من خلال معرفة أساليب التنشئة الاجتماعية أو المعاملة الوالدية التي يتبعها الآباء معهم .

« لقد اهتم الكثير من الباحثين بالأسرة لما لها من دور مؤثر وفعال في الانحراف والسلوك العنيف وذلك لما تحتله الأسرة من أهمية حيوية في عملية التنشئة الاجتماعية للفرد، إذ عن طريقها تغرس في نفس الصغير خلال سنوات طفولته المبكرة أنماطا ونماذج ردود

أفعاله، واستجاباته تجاه التفكير والإحساس والقيم والمعايير» (مجدي محمد توفيق حمدان، 2007، ص22).

فهي أول مؤسسة تربوية ينشأ ويتعلم فيها الطفل، إذ يتم فيها عملية الانتماء الاجتماعي الأول، وتتشكل أسس الهوية واكتساب لبعض العادات والمهارات وكذا طرق التصرف والانضباط، كما أنها تقدم وظائف مختلفة منها الوظيفة الاجتماعية والنفسية والثقافية والدينية وغيرها.

وتتأثر عملية التنشئة الاجتماعية بمثيرات مختلفة مما يجعلها ناقصة وخاطئة في بعض الأحيان، إذ تقوم على اتجاهات والدية سلبية ومن أهمها التحذير، الهيمنة، التسلط، استخدام أسلوب الضرب والشتم وإصدار الأحكام السلبية، وأحيانا أخرى باستعمال أسلوب التخويف والتهديد الذي يعتبر من وسائل التربية في العائلات الجزائرية.

إن التهديد هو من وسائل العائلات الجزائرية التربوية، وهو وسيلة ترهيبية كثيرا ما تستعمل في أوساطنا العائلية، إلا أنه أحيانا يؤدي إلى نتائج وخيمة ويكون مفعولها سلبيا خاصة بالنسبة للمراهقين ذوي المزاج الصعب.

والطفل الجزائري: "يميل منذ صغر سنه الى الغضب وان التربية التي يتلقاها الأطفال لا تدفعهم للتحكم والسيطرة على انفعالاتهم، هذه العادات والممارسات التي يتلقاها الطفل في طفولته تظهر لدى الراشدين، إذ يتظاهر الرجل في تصرفاته وفي كلامه بالغضب والتحدي (يصرخ ليثبت رجولته)..... والطفل الصغير لديه هنا نموذجا للعنف التعبيري" (Zerdouni Nafissa, Paris, 1982.) وقد يتعدى هذا التهديد إلى الضرب والشتم ووسائل أخرى للترهيب والتعذيب.

ومما لا شك فيه وحسب ما رأيناه في نظرية التعلم الاجتماعي، فإن الطفل سيعيد ما تعلمه من أوليائه بنفس الطريقة أو بأكثر شدة وقسوة وانتقاما لما تلقاه في طريقة تنشئته. « إذ يتعلم الأفراد العنف بنفس الطريقة التي يتعلمون بها أنماط السلوك الأخرى، فالطفل منذ نعومة أظفاره يتعلم التكيف مع نمط الشخصية الذي يكون محببا أو مرغوب فيه في جماعته السوسيوثقافية، أنه يتعلم العنف بنفس الطريقة التي يتعلم فيها الكلام أو الاعتدال في الجلوس» (Boiley(Roland), 1977, P45).

وشخصية الطفل تشكلها اتصالاته بالأسرة، وأن توفق الطفل أو عدم توفقه يتوقف بدرجة كبيرة على التنشئة الاجتماعية التي يتلقاها من أسرته بهدف نمو شخصيته نمو متناسقا وسليما.

وعليه فان للأسرة أهمية كبيرة في تشكيل شخصية الفرد، وبناءها كما أنها مصدر لتكوين البواعث الاجتماعية التي تكتسب من خلال تلقين الأبوين لأبنائهم، والتي تشير إلى محركات سلوك الأفراد وتقويم هذا السلوك بإبراز ما هو سلبي وما هو ايجابي، وفيها تزرع بذور الصحة النفسية أو الاضطراب النفسي والاجتماعي.

فإذا أردنا لأبنائنا النشأة الطيبة، فلا بد من أبوة طيبة، وعليه فلا بد «أن نتذكر ونحن ننشئ أطفالنا أنهم سيكونون في المستقبل آباء يتصفون بالاتزان والطمأنينة، وبروح الحرية والايجابية والشعور بالمسؤولية، والرغبة في التضحية مع الثقة بالنفس والاعتزاز بالذات، هذا إذا أردنا لهم ذلك، ومن تم يتطلب الإعداد للأبوة التبصير عن طريق التوعية بمعناها وواجباتها وتكوين المهارات والعادات الأساسية لها» (محمد سلامة محمد غباري، ص 329).

ولا ننسى أن أبنائنا الآن هم آباء في المستقبل، وتحذر الإشارة هنا إلى أن هؤلاء سيسلكون في تربية أبنائهم نفس مناهج السلوك التي نشئوا عليها. « فهناك من الآباء من عانى أثناء طفولته من تعسف الأبوين وقسوتهما عليه، لذا فهو يقوم بالدور نفسه مع أبنائه فيقسوا عليهم كما قسا أبويه عليه» (محمد عبد الرحمن عدس، 1998، ص20).

فهو يعتمد على نموذج تربوي استمدته من الثقافة التنشئية التي نشأ عليها، ومن اكتساب لخبرات سابقة فيعيد إنتاجها.

« ومن ضمن أنواع المحيط الأسري والتي صنفها جاك لوتراي إلى ثلاثة(مرن، متشدد وضعيف البنية). يبقى الأول وهو الأكثر ارتباطا بالطبقتين المتوسطة والراقية هو الذي يكون له أفضل تأثير في العمل المدرسي، أما من بين المحيطين الآخرين والمرتبطين أكثر بالأسر العاملة، فالأقل امتيازاً ليس هو الأكثر سلطة، بل هو ذلك الذي لا يتيح للطفل أبداً من خلال خطورته استباق نتائج تصرفه، الذي يمكن أن يقبل أو يرفض تبعاً للحظات، وهذه الحالة تعيق صيرورة الملائمة الضرورية لتعليمات مدرسية جديدة» (عبد الكريم غريب، ص163).

ولهذا لا بد من الأخذ بعين الاعتبار أهمية المناهج التربوية التي تستعملها الأسرة في تنشئة أبنائها وذلك من خلال الآثار المترتبة عنها، والتي تورثه قيماً وسلوكيات معينة للتعامل مع الآخرين خاصة فيالوسط المدرسي.

- فما هي هذه السلوكيات التي تعيق عملية تفاعل الطفل المراهق مع الآخرين، والتي تؤثر

تأثيراً سلبياً على شخصه؟

- **التذبذب في المعاملة**

« يرى هاد فيلد أن الشدة الثابتة خير من الين والتذبذب في معاملة الأبناء» (محمد سلامة

محمد غباري، ص 100).

إذ تقلب المعايير وتذبذبها من شأنه إعاقة التنشئة الاجتماعية، فالطفل الذي يطالبه الأب بسلوك معين في حالة ما، ثم يطالبه في الحالة نفسها بسلوك معاكس يشعر بالحيرة والقلق ويفقد الإحساس بالصواب والخطأ، ويصبح لا يستطيع التفريق بين ما هو صحيح وما هو خاطئ، ولذلك فانه من واجب كل أسرة أن تنتهج السياسة الثابتة والحزمة في تربية أبنائها لتساعدهم فيما بعد للوصول إلى القرارات الصائبة والمناسبة.

إذ أن أساليب المعاملة الوالدية من أهم العوامل التي تؤثر على التوافق النفسي لدى الأطفال، بما في ذلك ظهور العدوانية على سلوكياتهم.

ولا يعني هذا أن الأسرة لا بد أن تضغط على أبنائها، لأن من شأن الضغوط الوالدية تعزيز السلوك الغير الاجتماعي لديهم وهو ما تؤكد دراسة أزوز وآخرون 1995: « إلي فحص علاقة المزاج الاكتئابي لدى الأطفال الصينيين بالضغوط الأسرية والمدرسية، وقد توصلت الدراسة إلى نتائج أهمها: أن الضغوط الأسرية والمدرسية ترتبط بعلاقة موحية بالاكتئاب لدى أفراد العينة كما أوضحت النتائج أيضاً أن هناك علاقة موحية بين مستوى أعراض الاكتئاب ومستوى السلوك العدواني لدى هؤلاء الأطفال» (سوسن شاكر مجيد، 2008، ص132).

فإذا كان الطفل المراهق ينادي بالاستقلالية وفرض الذات أمام الضغوطات الأسرية، فمن شأن ذلك: « أن ينتج صراعا أو ما يعرف بفجوة الأجيال الذي يشير إلى شكل الصراع بين الآباء والأبناء....والعلاقة القائمة على أساس السن تحمل صورة النزاع بين الأجيال» (Paris 1988.p92 donfut Claude)، لتصبح العلاقة بين الأبناء والآباء معقدة.

وغالبا ما يلجأ الوالدين في مجتمعنا الجزائري إلى استعمال القسوة وحتى العنف للضغط على أبنائها، فتلجأ إما إلى العقاب البدني أو النفسي ليأخذ شكل تسلطي .

ولعل من أخطر مظاهر الاختلافات السوسولوجية بين الآباء و الأبناء اتجاه السيطرة :

- السيطرة في المعاملة

يراد بالسيطرة فرض الوالد والوالدة رأييه على ابنه، ويتضمن ذلك الوقوف أمام رغباته التلقائية أو منعه من القيام بسلوك معين، وهما يستخدمان أساليب متنوعة في ذلك تختلف خشونة ونعومة التهديد المختلفة من خصام أو ضرب أو حرمان.

وفي الجزائر تمنح الثقافة للأب قدرا كبيرا من التسلط على الطفل، فهو الأمر النهائي في البيت والضابط لسلوك الطفل وتدريبه على الامتثال والتطابق مع التقاليد والنظام الأسري، ذلك لأن قسوة الآباء على أبناءهم نابعة أساسا من تأثير التقاليد والعادات، إذ أن الأسرة الجزائرية من مبادئها «أن تمنح وتتقبل تسلط وتحكم الأب المطلق» (1982.p61 (Boutefnouchet ,).

إذ كثيرا ما يستعمل الوالدين أسلوب الضغط للتحكم في أبناءهم فيستعملون أساليب متنوعة كأسلوب الضرب والشتم وغيرهم، التي تزيد من إحباط المراهق وتجعله عرضة لمثيرات العنف، فالأبناء لا يحتاجون لمثل هذه الأساليب لطاعة الأولياء، بل عكس ذلك يحتاجون إلى سعة الصدر والثبات في المعاملة والنصيحة.

وفي دراسة ستيل 1974 والتي هدفت لمعرفة فيما إذا كانت هناك علاقة بين انتقال العنف بين الأجيال من الآباء الأبناء، فقد بينت نتائج الدراسة أن هناك علاقة قوية، ذلك لأن جميع الآباء الذين يمارسون العنف في أسرهم قد تعرضوا أيضا للانتهاك والعنف في مرحلة طفولتهم .

«و هنا تتحد دورة العنف من جيل لآخر، من خلال أن الأطفال اللذين يتعرضون للعنف داخل أسرهم أو يشاهدونه بين الأبوين يصبحون أكثر احتمالية لأن يكونون أحداث منحرفين أو يمارسون العنف داخل أسرهم بالمستقبل وهو ما تؤكد دراسة بارنت وآخرون Oelles

1975 Owens et Straus . 1981 hanner walker 1979-1980

و دراسة ميلر وشالاس 1981 على عينة من الآباء اللذين تعرضوا للعنف في طفولتهم، أن الآباء اللذين مارسوا العنف على أسرهم جاءوا من أسر تعاني مشكلات عديدة، وكانت نشأتهم سيئة، ويعانون من عدم الاستقرار العاطفي، وإنما أساليب التسلط والقسوة تزيد فقط من تمرد الأبناء وشدة العنف لديهم، إذ أن الاحتجاج عن المعاملة السيئة لا يؤول إلى نتيجة سوى المعاملة بالمثل أو بالأسوأ من ذلك، وهو ما يذكرنا بقول العلامة ابن خلدون أن العنف يسبب إذلال النفس ويؤدي إلى اللجوء للأخلاق والعادات الذميمة.

وقد تستعمل السلطة الوالدية طرق أخرى أكثر تفهم، لكن تبقى دوماً متسلطة كأن تستعمل أسلوب الحوار والتفهم، وهو الاتجاه المرن الشكلي، يعتمد على الحوار الشكلي مع محاولة فرض الرأي بطريقة معينة وبإصرارها على إقناع أبناءها، وهو ما نسميه أيضاً بأسلوب الديمقراطية المزيفة أو الحوار الشكلي الذي يريد من وراء المناقشة فرض الرأي بطريقة غير مباشرة، وفي بعض الأحيان يتخذ الأولياء في الأسرة الجزائرية هذا النوع من التسلط لإصرارهم على العادات والأفكار التقليدية، سعياً منهم بذلك إلى الحفاظ على العادات الاجتماعية بكل ما تحتويه حرصاً على توريثها من جيل إلى آخر، حتى وإن كانت تحمل في طياتها عادات سيئة، إلا أنه على الأولياء عدم تجاهل أن التنشئة الاجتماعية في حد ذاتها خاضعة لعملية التغيير الاجتماعي وعليه ينبغي الاهتمام بظروف وواقع الحياة الاجتماعية عند تنشئة أبنائنا لتحقيق اندماجهم الاجتماعي، أي لا يجب أن نفرض عليهم عادات وتقاليد لا يتقبلها واقعهم وحتى لا يصبح الإصرار على الموقف التسلطي وفرض الرأي عاملاً تهديمي.

ويصبح الطفل مملوك حسب « ارياس بشأن الأسرة الكلاسيكية، فهي برأيه تجسيد طريقة للدلالة possession hereditary وبالتالي فإن الطفل الذي لا يوجد ولا يحيا لذاته يشكل جزءاً من مختلف التملك الوراثي، ومن أشكال هذا التملك فأكد أنه يرث قيمة معينة وسلوكيات وطريقة معينة للعيش ضمن الآخرين إلا أن فردانيته الاجتماعية تظل حبيسة هذا المورث» (محمد سلامة محمد غباري، ص163).

ومنه يجد المراهق نفسه داخل فضاء ضيق لا يستطيع التعبير فيه عن رغباته بحرية لينطلق بعدها إلى المدرسة بميراث أسري تعسفي تملكي، فكيف يتعامل مع زملائه ومعلميه بهذا الميراث؟

وفي دراسة السوسن شاكر مجيد 2008، حول العنف والطفولة وجدت أن العوامل التي تكمن وراء السلوك العدواني علاقة موحية دالة إحصائياً بين الرفض الوالدي من قبل الأب والأم، وارتفاع مستوى السلوك العدواني.

ضف إلى ذلك العديد من الدراسات مثل دراسة كارلن 1996 وإلى تؤكد هي الأخرى على أن السلوك العدواني للأطفال يرجع أيضاً إلى المعاملة الوالدية الخاطئة، والتي يسميها ابن خلدون بالملكة وهي «التي تعبر عن الطريقة التي تطبع بها البنيات الاجتماعية في عقولنا بطريقة لا شعورية والملكات لا تحصل إلا بتكرار الأفعال لأن الفعل يقع أولاً وتعود منه للذات صفة ثم تتكرر فتكون

حالا، ومعنى الحال أنها صفة غير راسخة ثم تزيد التكرار فتكون ملكة أي صفة راسخة».

وعلى العموم فإن جل الدراسات العربية تبين أن مجتمعاتنا مجتمعات تسلطية تسعى إلى بناء شخصيات تميل إلى الخضوع والتبعية. فالأب يريد أن يكون له ابنا يتصرف بنفس تصرفاته وحسب أفكاره ورغباته والأم تريد لها بنتا تسير وفقا لما تمليه عليها وهو ما يعزز في شعور الأطفال حب الاستقلالية حتى وإن كان بطرق عنفوية، وفي بعض الأحيان نجد من الوالدين من يرغب بالانفراد بتنشئة أبنائه.

ولهذا فإن ابن خلدون يرى أن « من كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين سطى به القهر وضيق على النفس انبساطها وذهب بنشاطها ودعاه إلى الكسل وحمل على الكذب والخبث وعلمه المكر والخديعة لذلك وصارت له هذه عادة وخلقا وفسدت معاني الإنسانية التي له من حيث الاجتماع والتمدن وكسبت النفس عن اكتساب الفضائل والخلق الجميلة» (محمد سلامة محمد غباري، ص538-539).

كما يؤدي الإفراط في استخدام العقاب إلى فقدان الطفل لشخصيته كما يصبح الطفل متمرّد يميل للتخريب والتدمير كما يفقده الإقدام على الانجاز.

- سيطرة أحد الأولياء على التنشئة

قد تأخذ هذه السيطرة شكل انفرادي كان يستحوذ أحد الوالدين بدور التنشئة، وهو ما نلاحظه في مجتمعنا الجزائري الذي كان يوكل تربية الابن للأب وتربية البنت للأم، فتسعى هذه الأخيرة بكل الوسائل والطرق إلى تنشئة ابنتها وتستعمل في الكثير من الأحيان أسلوب التحذير والترهيب من مخالطة الرجال وترتبط ذلك دائما بشرف العائلة وسمعتها دونما تربية جنسية صحيحة تليق بسنها ومستواها، بل بالعكس فهي تتلقى «تربية جنسية جد صارمة إذ منذ سنواتها الأولى تمنع من مخالطة الذكور ويحاط بينها وبينهم بستر من العار لا يمزق إلا يوم زواجها، وتعمل الأم على نصحتها وتحذيرها من الرجال بشتى الوسائل والأساليب مستشهدة بالمثل الثقة في الرجال مثل صب الماء في الغربال» (Zerdouni Nafissa, 1982, p189).

وتستعمل الأم في ذلك جميع وسائل الضبط بما فيها الضرب. ويبقى دائما ورائها هاجس الإطاحة بسمعة العائلة وشرفها.

أما من ناحيته فالأب يسعى دائما إلى تعزيز صفة الرجولة في ابنه بإعطائه مسؤوليات تفوق سنه وأعباء أكبر منه لا تتفق مع استعداداته وقدراته، « وعندما يحنو الطفل الذكر إلى

تبنى سلوك الوالد فلأن هذا الأخير يمثل النموذج الاسمي بالنسبة إليه، وكما يرتضيه المجتمع، والشيء نفسه ينطبق على الأنثى عندما تحذو حذو والدتها، وعندما يحدث تعارض ما بين الوالدين على مستوى سيطرة أحدهما فان ذلك يخلق صراعا لدى الطفل من حيث اختيار النموذج المثل وهو الأمر الذي قد يحنو به باتجاه مسلكيات غير سوية" (عبد الكريم غريب، ص171).

كما تخطأ بعض الأسر في معاملة الابن معاملة مختلفة عن معاملة البنت، مما يكسب الابن غرورا عنيفا ضد أخواته وينمى لدى البنت الشعور بالكرهية التي تصل في بعض الأحيان إلى أفعال دامية نتيجة هذا الكره، كما أنه من شأنه إنماء مشكلة عدم الانتماء أو عدم الغيبة فيه كطفل داخل الأسرة، «ويترتب على ذلك الكثير من الإضرابات السلوكية مثل: السرقة والتخلف الدراسي أو السلوك المنحرف أو السلوك العدوانى والعصيان والشعور بالاضطهاد ومشاعر العداة لكل من يمثل السلطة» (محمد سلامة محمد غباري، ص111)، أكان ذلك في الأسرة أي الولدين والإخوة أما في المدرسة بالنسبة للمعلمين أو التربويين والتي تشعر الطفل بالرفض وعدم القبول.

- الرفض الأسرى

كثيرا ما تعودنا إيجاد عناوين مثل الرفض الوالدى والذي يقصد به رفض الأولياء لأحد أبناءهم، وفى هذا الصدد نريد التكلم عن الرفض الأسرى الذي هو من نتائج سوء العلاقة بين الوالدين، أو عدم رضى أحد الطرفين بالآخر لينتقل هذا السلوك من رفض علاقة الأولياء ببعضهم البعض إلى رفض أبناءهم «إذ يعبر هذا الاتجاه الوالدى في التنشئة عن رفض أحد الوالدين للطفل وإشعاره أنه غير مرغوب فيه وغير محبوب من والديه ولا ذا قيمة في الأسرة، كما يعبر عن مدى كراهية الوالدين للطفل وعدم قبول وجوده في الأسرة» (عامر مصباح، ص101).

ما يدعو الأبناء للإحساس بعدم الانتماء ولعله من اخطر ما يوجه سلوك الفرد نحو العنف ويساهم في التفكك المعنوى للطفل عن والديه وبهذا يقوم بأنواع من السلوك يقصد من وراءه لفت الانتباه» كالقيام بسلوك يتميز بالمقاومة والعدوان والثورة والعناد، فكثيرا ما نجد هؤلاء الأطفال مصدر تعب المدرسة والمنزل و ليس من السهل إخضاعهم للسلطة» (صالح حسن الداھري، ص277).

ضف إلى ذلك العديد من السلوكيات التي تدل على حقدهم وعدم رضاهم، مثل النشاط الزائد سواء كان داخل القسم أو في المنزل، وحتى كثرة تخريب الأدوات المدرسية وأثاث المنزل.

9- الحالة الاقتصادية للأسرة والعنف

أشارت دراسة سميث وآخرون 1974 أن معظم الأطفال الذين يعانون من مشكلات ينحدرون من أسر تعاني مشاكل مادية، اجتماعية وعاطفية، فقد كشفت هذه الدراسة أن الأسر التي تعاني من مشاكل متعددة ويعاني أطفالها من الانتهاك والإهمال عن وجود علاقة قوية وواضحة بين المكانة الاجتماعية والاقتصادية وبناء الأسرة والانحراف الاجتماعي والضغوطات الاجتماعية.

والفرد عندما لا تشبع حاجاته الأساسية بطريقة مشروعة فهو يسعى إلى إشباعها بطرق أخرى حتى وإن كانت غير مشروعة وهو بداية الانحراف، وفي هذا السياق "أكدت الإحصائيات الفرنسية أن الغالبية العظمى من بين (66.500) من الشباب دون سن 18 سنة الذين قدموا للمحاكمة في عام 1980 تنتمي إلى طبقات فقيرة، كما أشارت الإحصائيات التي أجريت في فرنسا ما بين (1844-1885) إلى ارتفاع معدل الإجرام كلما قل عدد الودائع في صندوق التوفير وكلما زاد عدد المشمولين بالرعاية الاجتماعية» (محمد عبد الله الوريكات، 2008، ص 338).

و« الآباء في الأسرة الفقيرة يعانون من قهر الفقر وإحباطه فأنهم ليسوا على استعداد لتحمل لمزيد من ضغوط أبنائهم، ولذلك فإن طلباتهم لا تقابل بلا بالرفض العنيف الذي قد يصل إلى الإيذاء البدني إذا ما تكررت الطلبات.

وهو ما يولد العنف لدى الأبناء إذ تتولد لديهم مشاعر الإحباط ويتراكم لتنفجر لأن العنف حسب دولار Dollard سلوك انعكاسي، إذ يعتبر أنه "كلما كان الحرمان قويا كانت شدة الإحباط كبيرة وقوية، ويكون العدوان موجها نحو منبع المنع (auto aggression) ويعتبر العدوان في حد ذاته عملية تطهير النفس من الإحباط» (Michaud yves, 1992.p85).

كما قد يتعدى إلى الآخرين، إذ أن للفقراء كذلك صلة غير مباشرة بجرائم الاعتداء على الأشخاص، فحالة الضيق التي يعاني منها الشخص تؤثر على نفسيته، وقد تدفعه مع اليأس إلى بعض أفعال الاعتداء على الأشخاص، وللفقراء صلة غير مباشرة بجرائم الاعتداء على العرض» (عبد الرحمن العيسوي، 2008، ص 42).

ضف إلى ذلك فانه يرتبط بظواهر عديدة غير مباشرة تنتهي بدورها إلى سلوك سبيل الجريمة.

بالإضافة أنه يقترن بسوء التغذية التي تؤثر على الصحة النفسية والجسمية للفرد وكذلك العقلية، فهو يشكل عقبة تحول بين الأبناء ومتابعة دراستهم فيقطعون عن الدراسة، كما أن تدني المستوى المعيشي يزيد من تدني المستوى الثقافي، ويدفع بدوره لارتكاب الجريمة.

وهو ما يؤكد (Bonjer) والذي يعتبر أن «لظروف الاقتصادية السبب الأساسي في حدوث الجريمة، حيث اعتبر أن اختلال النظام الاقتصادي سبب كل الجرائم ومولدها، وهذه العوامل الاقتصادية الرئيسية لاشك أن تترك آثارها الغير مباشرة على مختلف المنظمات الاجتماعية القائمة في المجتمع، وأهمها البيت والمدرسة» (عبد الرحمن العيسوي، 2008، ص42).

ويرى أيضا أن طابع الجريمة هو العنف، وصنف هذه الجرائم إلى ثلاث تصنيفات، وهي «الجرائم الاقتصادية، جرائم العنف والجرائم السياسية، وأضاف إليها الجرائم الجنسية التي أرجعها إلى استغلال أو استبعاد الجنس للجنس الآخر، وأشار إلى أن كلا من هذه الجرائم تمثل انعكاسا مباشرا للأوضاع الاقتصادية، النفسية والاجتماعية....» (غني ناصر حسين القرشي، 2011، ص195).

إذ يتأثر سلوك الأفراد بمعطيات والظروف الصعبة المتعلقة بالسياق الأسري، وبالمشاكل الصحية وبالوضع السوسيواقتصادية المتدنية للأسرة، وهو ما ينعكس في الكثير من الأحيان على سلوك الأطفال ليتفاعل بعدائية مع المحيط الذي يعتبره سببا في ظروفه القاسية. فيسعون غالبا إلى طريقة عنيفة في المدرسة وذلك لجلب انتباه الآخرين.

لهذا يبرز تحكم الظروف الاقتصادية على الجانب النفسي للمراهق، «فالفشل في الدراسة مؤشر على ضعف شخصية الطفل وعدم قدرته على الخضوع للضوابط الاجتماعية، بالإضافة إلى أنه مؤشر على احتمال وجود أسباب داخلية سيئة قد تؤدي به إلى سلوك سبيل الجريمة إذا لم يتم علاجها» (محمد عبد الله الوريكات، 2008، ص353).

وبالرغم من كثرة الأبحاث التي تؤكد على علاقة الفقر بالجريمة إلا أن البعض الآخر يشكك في هذه العلاقة. فالعالم الأمريكي "سود وند" وغيره من العلماء يؤكدون على أن الجرائم ليست حكرا فالأغنياء أيضا يرتكبون الجرائم بنفس قدر الجرائم التي يرتكبها الفقراء وهي ليست لها علاقة بالفقر. وهذا لا يعني أن الجريمة ليست لها علاقة بالفقر وإنما ليس الفقر وحده سبب في حدوث الجريمة، بل أنه هناك عوامل أخرى لها علاقة بالفقر وهي سبب

حدوث الجريمة، فالعلاقة مباشرة وغير مباشرة كالمنطقة السكنية، ضيق المسكن وكثرة الأبناء وغيرها.

وبالإضافة إلى العامل الاقتصادي نجد أنه للمنطقة الصناعية هي الأخرى كما أكدت الدراسات والأبحاث لها دور في ظهور العنف "فالمنطقة السكنية التي يرتفع فيها المستوى الثقافي والاجتماعي نجد أبنائها أكثر التزاما والعكس بالنسبة للمنطقة التي ينخفض فيها المستوى الثقافي والاجتماعي فالعنف يكثر عادة في الأحياء الشعبية أكثر منه في الأحياء الراقية بسبب كثرة رفقاء السوء لهاته الأحياء دون غيرها، حيث يكون تعلم العنف سهلا ومطلبا ضروري لحماية الطفل داخل مجموعته أو خارجها، كما يعد من الأشياء المستحبة والمقبولة، فالطفل الأكثر عنفا تصيح لديه حق الزعامة أسبقيتها دون رفاقه الآخرين» (مزور بركو، ص30).

10- الوضعية السكنية ونشأة العنف

يعكس مسكن الأسرة مستواها الاجتماعي إلى حد بعيد، وهو ما يذكرنا بالأعمال كل من بارك Park (1864-1944) وارانست برجس Burges (1886-1951) اللذان يوزعان المدن إلى 5 مناطق سكنية منها ما يسمى بمنطقة التحول وهي التي يسكنها الفقراء فقط، وهناك مناطق سكنية للأغنياء، وتعتبر هذه الصورة "صورة متغيرة تضعف فيها العلاقات الاجتماعية الأولية وتحل محلها العلاقات الثانوية، وتتباين فيها الخدمات ويقل الضبط الاجتماعي إلى درجة كبيرة ويسود فيها التفكك الاجتماعي الذي يقود إلى الجرائم والانحرافات بمختلف أنواعها (غني ناصر حسين القرشي، 2011، ص281).

وهنا لابد أن نؤكد على جانبين هامين هما:

الجانب المورفولوجي في المسكن والجانب الفيسيولوجي (أي الخارجي).

1- الجانب المورفولوجي: وهنا يؤكد Neighbour Hood «أن الجناح أو السلوك الإجرامي هما حصيلة تفاعل طويل يحدث بين الفرد وبين ظروف بيئته من جهة وبين أفراد جماعته الأولية التي يتعامل معها أو التي يتصل بها من خلال حياة الجماعة من جهة أخرى. ومن أبرز هذه الجماعات الأولية الأسرة، جماعة اللعب والعصبة...» (محمد سلامة محمد غباري، ص254).

وقد أكد كليفورد شو ومكاي كيف يلعب المنطقة السكنية دورا كبيرا في الجريمة وذلك في «دراسة العلاقة بين عدد من المتغيرات المرتبطة بالمجتمع المحلي في المدينة وانحراف

الأحداث بالاعتماد على الإحصائيات الرسمية للأحداث المنحرفين....» (غني ناصر حسين القرشي، 2011، ص215).

بحيث أكدت أن «العلاقات الجيدة والصداقات بين الناس تعمل بوصفها ضوابط اجتماعية ضد الجريمة والانحراف ويسود التنظيم الاجتماعي والعكس صحيح إذا لم توجد مثل تلك العلاقات والصداقات فان التفكك الاجتماعي هو الذي سوف يسود» (غني ناصر حسين القرشي، 2011، ص215).

فعدم التنظيم الاجتماعي والبيئة الفاسدة تشجع على ارتكاب الجريمة، كما أن من شأن ضيق المسكن أن يكون دافعا للعنف وسلوك سبيل الجريمة إذ «يؤدي ضيق المسكن إلى عدم تمكن الأبناء من أداء واجباتهم المدرسية، مما يترتب عليه الفشل في الدراسة، فيلجئون غالي الشوارع حيث يكون الاتصال هناك برفاق السوء، وقد يؤدي بهم ذلك إلى تكوين نواة عصابة إجرامية» (محمد عبد الله الوريكات، 2008، ص350)، هذه الأحياء تساهم على نشر القيم الغير الأخلاقية.

11- العنف في المدارس وآليات تشكيله

المدرسة هي مؤسسة تربوية اجتماعية خطط لها المجتمع بطريقة مقصودة لتلبية إحدى حاجياته الأساسية وهي التربية المدرسية لإعداد جيل المستقبل إعدادا متكاملًا وتنشئتهم من خلال إكسابهم معارف جديدة. وأصبحت مثلها مثل الأسرة ذات أهمية كبيرة في عملية التنشئة.

«فهؤلاء التلاميذ والتلميذات الذين يجلسون في الصفوف هم قادة المستقبل سوف يكون منه السياسي والعالم والقاضي والمدرس وكل منهم يمكن أن يؤثر في محيطه المباشر، أو في وطنه أو في ما هو أبعد من حدود وطنه. يمكن أن يكون منهم المجرم ومكافح المجرم، الأناني والمضحى بحياته في سبيل الإنسانية والقائد والتابع... الخ» (صالح حسن الدايري، 2011، ص75).

فالمدرسة تسعى إلى إعداد هؤلاء إعدادا متكاملًا كما تسعى إلى بناء الفرد الصالح وتنمية شخصيته وبيداغوجي للكشف عن قدرات التلاميذ وتوجيهها التوجيه السليم.

ضف إلى ذلك تشجيع هؤلاء للابتكار وإعدادهم لمواجهة التغيرات الاجتماعية وتكيفهم مع مجتمعاتهم وكذا تحقيق ذواتهم لتحمل المسؤوليات ومواجهة الأعباء.

ومما يميز المدرسة عن باقي مؤسسات التنشئة الاجتماعية «أنها تمثل مركزا للعلاقات الاجتماعية المتداخلة والمعقدة التي تتخذ مدخلا للتفاعل الاجتماعي حيث يتفاعل جماعات

المدرسة من مدرسين وطلبة وفقا لدستور أخلاقي» (ندى عبد الرحيم المحامدة، 2005 ، ص45).

ولقد انتشرت في الآونة الأخيرة في هذا المجال مجموعة من السلوكيات الانحرافية اتخذت أبعادا مختلفة، ولاشك أن من وراء هذا التزايد عدة أسباب أدت إلى تشكيله داخل المدرسة. فما هي آليات تشكيله في المدرسة؟

تطور مصطلح العنف المدرسي خلال السنوات الأخيرة وأصبحت المدارس مسرحا للعنف. إلا أن مثل هذه السلوكيات تعبر عن «تناقص واضح وهو أن المدرسة التي تقوم بدور أساسي في تقويم سلوك المتعلمين وتعديل اتجاهاتهم وإعدادهم أخلاقيا ونفسيا واجتماعيا من أجل الاعتماد على أنفسهم وضبط غرائزهم وتطوير شخصيتهم أصبحت مصدرا للعنف ومجالا للصراع ومؤسسة لتعلم العنف والاعتداء...» (الشهب، 2000، ص99-100).

وما هو جدير بالذكر أن المدارس فشلت في أداء مهامها ومن بين آثار هذا الفشل «عدم قدرة المدرسة على الوقوف ضد أساليب السلوك الوافدة والشائعات والدعايات الضارة. يعني أن بغض التلاميذ سيكونون فريسة لأخطارها ما يترتب عليه اتجاههم نحو الإدمان والفساد والسرقة وارتكاب مختلف الجرائم وربما خيانة الوطن» (غني ناصر حسين القرشي، 2011، ص 251).

ولهذا استدعى الأمر انتباه الباحثين والتربويين وحتى السياسيين إلى الوقوف لتبصير الجهات المعنية بآثار هذا العنف وماله من أخطار وخيمة، وكان الداعي للبحث عن الأسباب الكامنة وراء ذلك لمحاولة الحد منها. ودراستنا هذه تحاول الكشف عن آليات تشكيله في هذا الوسط التربوي.

وكشفت دراسة محمد عامر عن بعض الأسباب التي تساهم في ظهور العنف التلاميذي داخل المدرسة ومنها غياب القدوة وأشكال السيطرة الزائدة، وسيطرة الخوف على التفاعل والعلاقة بين المدرس والتلميذ وضعف إدارة المدرسة..» (مجدي أحمد محمود إبراهيم وآخرون، ص84). إذ يؤثر سلوك الواحد على الآخر.

«...لذا فإننا عندما نحاول أن نقيم أي ظاهرة في إطار المدرسة فمن الخطأ بمكان أن نفصلها عن المركبات المختلفة المكونة لها، حيث أن للبيئة جزءا كبيرا من هذه المركبات» (سوسن شاكر مجيد، 2008، ص279).

فلا يمكن إغفال ذلك العنف الذي يتلقاه التلميذ في المدرسة من خلال سوء المعاملة من طرف المعلم أو العاملين بالمدرسة بدءا بالمدير. مما يجعل الجو التربوي عنيف وغير مشجع على التحصيل الجيد.

من هنا نستطيع ملاحظة أن العنف المدرسي يرتبط بعدة مسببات متداخلة منها ما يسهم بدرجة أكبر من غيرها في إحداث هذا العنف وأهمها الأسباب المرتبطة بشخصية المراهق نفسه، وما يرافقها من اضطرابات انفعالية وتلك النزعة نحو التمرد وحب التغيير وغيرها، ومع غياب التوجيه الأسري والمدرسي وعدم ثقة الطلبة بالمعلمين والمؤطرين وعدم الاهتمام بمشكلات الطلبة وقلة الأنشطة، وغيرها من المشاكل البيداغوجية التي من شأنها أن تعزز سلوك اللامبالاة وتؤدي إلى انحراف التلاميذ وعدوانيتهم.

ليصبح العنف المدرسي ناتج التجربة المدرسية وهو ما تؤكد وزارة المعارف والثقافة عام 1997 إن السلوكيات العنيفة هي بتاج المدرسة، وذلك من خلال قلة الضبط الاجتماعي ونقص واضح في إعداد المعلمين لمثل هذه المسؤولية وضعف العلاقة بين التلميذ والمعلم وهو ما يؤكد ابن خلدون في مقدمته إذ يرى أنه إذا كانت العلاقة بين المربي والمتعلم قائمة على القهر والعقاب فإنها تؤدي إلى الانحراف، ومع ذلك فلا يمكننا إغفال دور جماعة الرفاق ومالها من تأثير على شخصية المراهق وكذا وسائل الإعلام.

ومما يتضح لنا أن الآراء التي تناولت أسباب العنف في المدرسة بعضها ركز على البيئة الخارجية للمدرسة، والآخر اهتم بالبيئة الداخلية وما يحرم فيها من علاقات وفي دراستنا الاستطلاعية حول ما هي آليات تشكيل العنف داخل المدرسة استنتجنا ما يلي:

12- نتائج الدراسة الاستطلاعية

يلاحظ أن العنف داخل المدرسة الجزائرية بدأ يأخذ أشكال جديدة إذ يلاحظ أن نظام المدرسة بكامله توجد فيه علاقات متوترة طوال الوقت.

ومما يزيد من خطورة هذا التوتر أن عنف التلاميذ لا يقتصر الآن على التخريب والتحطيم والضرب وغيرها فهو يتعدى إلى أبعد من ذلك إلى مستوى محاولة القتل وتعاطي المخدرات.

إذ نجد في متوسطة بونعامة الجيلالي بولاية البليدة وذلك في أقسام السنة الرابعة لسنة 2011-2012 عدة حوادث عنف أدت إلى تسبب بعض التلاميذ بجروح بالغة نتيجة تعرضهم لمحاولات قتل من طرف زملائهم، و يفصح هؤلاء أن السبب الرئيسي الذي أدى بهؤلاء إلى مثل هذه السلوكات هو تعاطي المخدرات.

أما عن الإجابات الخاصة بالتساؤلات حول علاقة الأسرة ومعاملتها، فكشفت الدراسة الاستطلاعية أن هؤلاء التلاميذ يعانون من مشاكل عديدة داخل أسرهم مثل طلاق الوالدين، التعامل بقسوة وبأسلوب سلطوي، مقابل ظهور أيضا أن التعامل مع المعلمين أصبح يأخذ شكل اللامبالاة، ومن الملفت للانتباه أيضا أن العنف البدني لم يقتصر فقط على الذكور وإنما ظهر بنسبة عالية عند الإناث.

- ويفصح التلاميذ بنسبة عالية:

عن عدم رضاهم عن هذه الأوضاع إلى جانب شعورهم بالقلق والخوف لأنهم غير راضين عن الحياة الدراسية بهذه الوضعية، وما يقلقهم أكثر حسب رأيهم عدم مبالاة الأساتذة، وبالتالي عدم رضاهم عن ضعف قدرة هؤلاء على التحكم والسيطرة.

مقابل

-استخدام الأسلوب العدواني في المعاملة

-الحرمان العاطفي

-الإهمال

- اللامبالاة

-استخدام أسلوب العقاب العنيف

-الضغوطات الاجتماعية

-التغير في النمط المعيشي

-سوء الحالة الاقتصادية

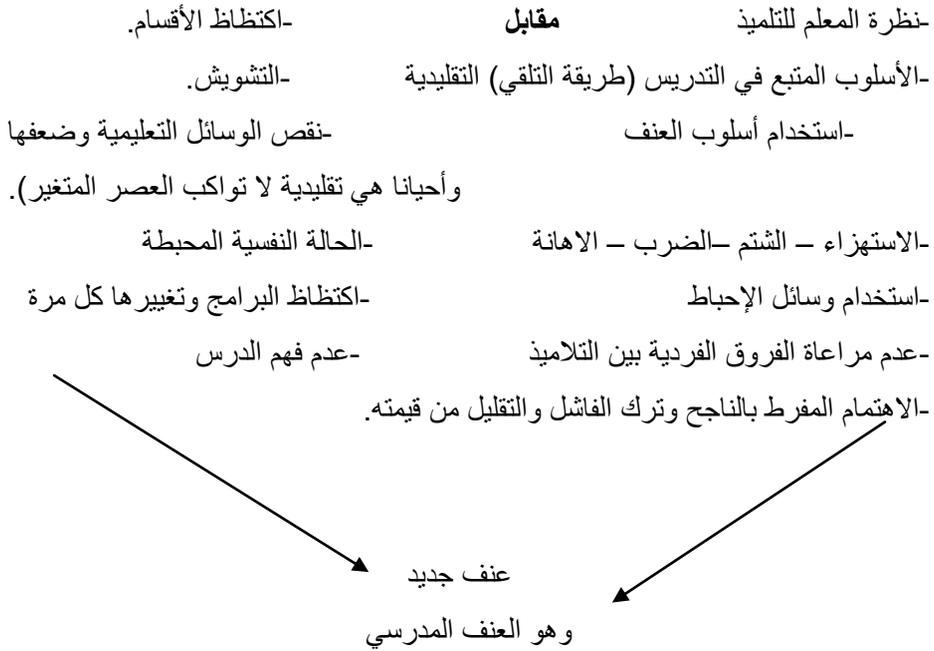
-الصراعات من جراء هذه الضغوطات

-عدم القدرة على التأقلم

-العجز عن التكيف مع الوظائف الجديدة

العنف

كرد فعل على هذه الضغوطات



المراجع

- (1) ابن منظور، لسان العرب، دار لسان العرب، بيروت، 1975.
- (2) Michaud Yves : la violence , PUF ,Paris , 1973, P 04.
- (3) جميل صليبا، معجم الفلسفة، دار العلم للملايين، بيروت، 1982، ص112.
- (4) عبد الرحمان العيسوي، الإرشاد التقني، الإسكندرية، دار المعرفة، 1999.
- (5) حسين توفيق إبراهيم، ظاهرة العنف السياسي في النظم العربية، سلسلة أطروحات الدكتوراه، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، ط2، 1993.
- (6) احمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان ، بيروت، 1986.
- (7) سوسن شاكر مجيد، العنف والطفولة: دراسات نفسية، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2008.
- (8) Pierre Anare Boudin, Mihians ER Kohén, Markus (EDS) : Violence a l école , Fatalité ou défi ? col pratiques pédagogiques éd ;De Bock université , Bu scelles, Belgique, 2000.
- (9) رجاء مكي، سامي عجم، اشكالية العنف: العنف المشروع والعنف المدان، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر مجد، بيروت، لبنان، ط1، 2008.

(10) Pierre Anare Boudin, Mihians ER Kohen ,Markus (EDS) : Violence a l école , Fatalité ou défi ? col pratiques pédagogiques éd ;De Bock université , Bu scelles, Belgique ,2000 .

(11) Michaaud yves : **la violence , coll que sais- je?** 3 éd puf , paris,1992.

(12) Fitzhough: **tout se jous avant six ans**, Belgique éd marabout, PARIS,1972.

(13) السيد عوض، **جرائم العنف الأسرى بين الريف والحضر**، مطبوعات مركز البحوث والدراسات الاجتماعية القاهرة، 2004.

(14) Michaaud yves : **la violence , coll que sais- je?** 3 éd puf , paris,1992,P8 .

(15) أميمة منير عبد الحميد جادو، دار السحاب للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، القاهرة، 2005.

(16) مجدي محمد توفيق حمدان، **مظاهر العنف لدى طلبة الصف العاشر في المدارس الحكومية في مدينة عمان**، عمان، 2007.

(17) Zerdouni Nafissa ,enfant d hiver éducation de l enfant en milieu traditionnel algérien ,coll. :Domaine maghrébine ,ed :Froncis Mespero ,Paris,1982.

(18) Boiley(Roland),**Violence et agression**, time life international. 3 Nederland, 1977.

(19) محمد سلامة محمد غباري، **أطفالنا احتياجاتهم و مشكلاتهم و طرق العلاج**، المكتب الجامعي الحديث، مصر.

(20) محمد عبد الرحمن عدس، **بناء الثقة و تنمية القدرات في تربية الأطفال**، دار الفكر للطباعة والنشر، الأردن، 1998.

(21) عبد الكريم غريب، **سوسيولوجية المدرسة**، منشورات عالم التربية، الطبعة 1، الدار البيضاء.

(22) سوسن شاكر مجيد، **العنف والطفولة: دراسات نفسية**، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2008.

(23) donfut Claude, Sociologie des génération ,ed Puf ,Paris 1988.

(24) Boutefnouchet ,la famille algérienne ,évolution et caractéristique, Alger, SNED 1982.

(25) محمد سلامة محمد غباري، **أطفالنا احتياجاتهم و مشكلاتهم و طرق العلاج**، المكتب الجامعي الحديث، مصر.

- (26) محمد سلامة محمد غباري، أطفالنا احتياجاتهم ومشكلاتهم و طرق العلاج، المكتب الجامعي الحديث، مصر.
- (27) Zerdouni Nafissa, enfant d hiver education de l enfant en milieu traditionnel algérien ,coll. :Domaine maghrébine ,ed :Froncis Mespéro, Paris,1982.
- (82) عبد الكريم غريب، سسيولوجية المدرسة، منشورات عالم التربية الطبعة 1، الدار البيضاء.
- (29) محمد سلامة محمد غباري، أطفالنا احتياجاتهم ومشكلاتهم و طرق العلاج، المكتب الجامعي الحديث، مصر.
- (30) عامر مصباح، التنشئة الاجتماعية و السلوك الانحراف.
- (31) صالح حسن الداھري، أساسيات علم الاجتماع النفسى التربوى ونظرياته، دار مكتبة الحامد للنشر والتوزيع، عمان.
- (32) محمد عبد الله الوريكات، مبادئ علم الإجرام، دار وائل للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى 2008.
- (33) Michaaud yves : la violence , coll que sais- je? 3 éd puf , paris,1992.
- (34) عبد الرحمن العيسوي، الذكاء والجريمة، دراسة في علم النفس الجنائي، منشورات الحلبي، الطبعة الأولى، 2008.
- (35) عبد الرحمن العيسوي، الذكاء والجريمة، دراسة في علم النفس الجنائي، منشورات الحلبي، الطبعة الأولى 2008.
- (36) غني ناصر حسين القريشي، علم الجريمة، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان 2011.
- (37) محمد عبد الله الوريكات، مبادئ علم الإجرام، دار وائل للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى 2008.
- (38) مزوز بركو، العنف عند الأطفال وأشكال العقاب الممارس على الطفل العنيف.
- (39) غني ناصر حسين القريشي، علم الجريمة، دار صفاء للنشر و التوزيع، عمان 2011.
- (40) محمد سلامة محمد غباري، أطفالنا احتياجاتهم ومشكلاتهم و طرق العلاج، المكتب الجامعي الحديث، مصر.
- (41) محمد عبد الله الوريكات، مبادئ علم الإجرام، دار وائل للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى 2008.

- (42) صالح حسن الداھري، أساسيات علم الاجتماع النفسى التربوى ونظرياته، دار مكتبة الحامد للنشر والتوزيع، عمان، الطبعة الأولى 2011.
- (43) ندى عبد الرحيم المحامدة: الجوانب السلوكية فى الإدارة المدرسية، الطبعة الأولى، دار صفاء للنشر، عمان، 2005.
- (44) محمد الشهب، المدرسة والسلوك الانحرافى، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، 2000.
- (45) غنى ناصر حسين القريشي: علم الجريمة، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان 2011.
- (46) مجدى أحمد محمود إبراهيم وآخرون، العنف فى المدرسة العربية، دراسة حالة، المكتبة العصرية للنشر والتوزيع، مصر.
- (47) سوسن شاکر مجيد، العنف والطفولة: دراسات نفسية، الطبعة الأولى، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، 2008.